السنة التاسعة (رمضان سنة ١٣٦١ — أكتوبر سنة ١٩٤٢م) العدد الثانى

# صحيفة دار العلوم

(ح ١٩٣٤)

تصدرها جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

المدير
محمد نجيب جيابة

رئيس التحرير
محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية
ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى
المدرس بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى ——— ٢٠ قرشاً
خارج القطر ——— ٣٠ قرشاً
ثمن العدد ——— ٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٣

"إن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت
اللغة العربية وأين تحيا لوجدها تموت في كل مكان
وتحيا في دار العلوم"

للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

# التعريف بمن ذكرهم شمس الدين السخاوى ممن قرظوا كتاب أبى التقى البدرى صاحب كتاب (سحر العيون) البرهان الباعونى وأخواه وبعض المشهورين من أسرة الباعونى

لحضرة الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتى

---

كنت قد شرعت أكتب فى الأدب المصرى فى عصر المماليك وبدأت فى ذلك بالكلام على كتاب ( سحر العيون ) والتعريف بمؤلفه لمناسبة ذكرتها فى المقالة الأولى من مقالات ثلاث نشرت فى مجلة الرسالة الغراء ، ثم حالت أزمة الورق والتجاء المجلات والجرائد إلى تقليل عدد صفحاتها دون الاستمرار فى هذا الموضوع القيم ، والآن قد تقدمت الينا مجلتنا المحبوبة ( صحيفة دار العلوم ) أن نمدها ببعض المقالات الأدبية النافعة ، فرأيت أن أصل ما انقطع وأن أبدأ أولا بتتمة الكلام فى التعليق على ترجمة تقى الدين البدرى المنقولة من كتاب ( الضوء اللامع ) لشمس الدين السخاوى فان بها أشياء كثيرة تحتاج إلى الشرح والبيان ، وقد أسلفت منها فى ثلاث المقالات القول فى التعريف ببنى الشحنة الذين كان ينتمى إليهم صاحبنا البدرى .

وأفتتح مقالاتى الآتية بترجمة البرهان الباعونى وأخويه والتعريف ببعض الأدباء من أسرة الباعونى فأقول : بنو الباعونى أسرة شامية عرفت بالعلم

والدين والأدب فى القرن التاسع الهجرى خاصة وهم ينسبون إلى ( باعونة ) قرية صغيرة من قرى حوران بالقرب من (عجلون) كانت من أعمال (صفد) ( مدينة فى جبل عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان ) وإلى صفد ينسب المؤرخ الأديب الشاعر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المشهور توفى سنة ٧٦٤ هـ - وقال المقريزى : وسميت القرية ( باعونة ) لأنه كان فى موضعها دير للنصارى يسمى راهبه ( باعونة ) فلما أزيل الدير وأنشئت القرية مكانه عرفت باسمه )أحياء لذكره أوشماتة به .

(١) وكان جد هذه الأسرة — وهو ناصر بن خليفة بن فرج بن عبدالله ابن يحيى بن عبد الرحمن حائكا بهذه القرية وتاجرا فى البز يتنقل به فى البلاد ويضرب فى الأرض يبتغى من فضل الله ، فكسب ثروة كافية ثم انتقل إلى ( الناصرة ) من أعمال صفد أيضا ولهذا قد ينسب اليها بنوه وأحفاده — فمن أولاده

(٢) شرف الدين موسى بن ناصر الفقيه المقرىء المحدث توفى فى شهر رمضان سنة ٧٩٤

(٣) أخوه عماد الدين بن اسماعيل بن ناصر ، وكان فى زمانه شيخ الناصرية على طريقة الفقهاء والصوفية ؛ وولى قضاء بلده ( الناصرية ) حينا ، وكانت له تجارة رابحة وثروة وجاه ومكانة ، وتوفى أواخر سنة ٨٠٩ عن نحو ٧٠ سنة .

(٤) وأخوه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر الباعونى الناصرى الشافعى نزيل دمشق ، ولد بالناصرة سنة ٧٥٢ ونشأ بها وتلقى العلم والأدب عن أخيه اسمعيل وغيره من أئمة الشام بصفد ودمشق وسواهما وأقام بمدينة

صفد إلى ما بعد سنة ٧٩٠ إذ ثار عليه أهلها واتهموه بأنه مدح (منطاش)[1] خصم السلطان وغضن من الملك (برقوق) فخرج منها خائفا يترقب، وولى وجهه شطر مدينة القاهرة ملجأ الخائف وملاذ المكروب فوصله بعض فضلائها بسلطانها العظيم (برقوق) وأحسن فيه القول، فأدنى السلطان منزلته وأكرم وفادته وولاه خطابة جامع بنى أمية بدمشق سنة ٧٩٢ فسار سيرة مرضية فى سلوك الحق وعدم المحاباة.

ولكنه لم يخل من حاسد يكيد له ويتربص به الدوائر حتى اتفق أن طلب السلطان برقوق أن يقترض مالا من وقف كان لأيتام بمدينة دمشق فأبى القاضى أحمد الباعونى ذلك، ووجد أعداؤه فيه حينئذ فرصة انتهزوها (ومن هؤلاء جلال الدين بن خطيب داريا (محمد بن أحمد بن سليمان بن يعقوب الأديب الشاعر توفى سنة ٨١٠ - وكان قد قال فيه لما ولى القضاء بدمشق:

قضاء دمشق قد نادى حماتى لم يراعونى
رميت بكل مصقعة وبعد الكل (باعونى)

فعزل من القضاء سنة ٧٩٦ وسجن ثم أطلق ولزم داره، ولم يزل كذلك حتى قام بأمر مصر والشام بعد السلطان الظاهر برقوق ولده الملك الناصر (فرج بن برقوق) سنة ٨٠١ فولاه الخطابة بالمسجد الأقصى سنة ٨٠٢ ثم

(١) منطاش الأشرفى كان السلطان الظاهر برقوق قد ولاه نيابة المملكة بملطية سنة ٧٨٨ فشق عصا الطاعة وثار فى البلاد بمن انضم اليه ممن شردهم الملك برقوق لما ولى الأمر فعثوا فى الأرض فسادا، وبعد حوادث ووقائع طويلة بينه وبين الملك برقوق قبض عليه فاعتقل بقلعة حلب وقتل بها سنة ٧٩٥ هـ وكان رجلا شجاعا فاتكا جريئا على الهمة كثير العطايا نهابا وهابا كما كان أهوج طائشا - وبعد قتله جيء برأسه إلى مدينة القاهرة فطيف به فى أرجائها ثم علق على باب زويلة حينا.

أضيف اليه ثانية قضاء دمشق سنة ٨١٢ فسار فيه بعفة ونزاهة ، ثم عزل عنه واقتصر على خطابة بيت المقدس ثم عاد إلى مدينة دمشق حتى أدركته منيته بها فى شهر المحرم من سنة ٨١٦ وكان إماما فاضلا ذا دين متين وخلق عظيم من أعظم أنصار الحق وأعوانه آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر عفا نزيها كثير الفوائد ألقى الدروس القيمة بمدارس كثيرة ، وكان حسن الهيئة جميل البزة ذكيا فطنا أديبا شاعرا مجيدا وكاتبا قديراً وخطيبا مصقعا بليغ القول عذب الحديث حلو المنطق لطيف المحاضرة حسن المذاكرة قادرا على سرعة النظم وارتجال الخطب .

غير أن السخاوى نقل عن المقريزى أنه كان عريض الدعوى شديد الإعجاب بنفسه ) فإن صح هذا فإنه عندى يغطى سائر محاسنه ويعفى على كل فضائله ، وإن كان بعض الناس يرى غير ذلك فيقول معتذرا لمن يعجب بنفسه

وماذا على الإنسان فى مدح نفسه إذا لم يكن فى قوله بكذوب

وما زالت الأشراف تهجى وتمدح ، وقد أثنى على القاضى الباعونى ابن قاضى شهبة [1] فى كتابه ( طبقات الشافعية ) ومن شعره :

ولما رأت شيب راسى بكت وقالت عسى غير هذا عسى
فقلت البياض لباس السرور وإن السواد لباس الأسى
فقالت صدقت ولكنه قليل النفاق بسوق النسا

وله ايضاً :

(١) هو القاضى تقى الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر المعروف بابن قاضى شهبة ( بلدة من أعمال حوران ) توفى بدمشق سنة ٨٥١ وكتابه ( طبقات الشافعية ) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ١٥٦٨ ، وأخرى رقم ٩٠ م بخط أبى الفضل محمد بن محمد بهادر المؤمنى الطرابلسى الشافعى نزيل القاهرة تلميذ الجلال المحلى فرغ من كتابتها سنة ٨٥٩ ونقلها من نسخة تاريخها سنة ٨٤٨ .

سـلم إلى الله ما قضاه لابد ان ينفذ القضاء
سيجعل الله بعد عسر يسرا به يذهب العناء
يدبر الأمر جل ربي ( ويفعل الله ما يشاء )

وله تخميس للبردة اوله :

يا باغيا كتم امر غير منكتم انى وطرفك صافى الدمع لم ينم

وهو ضمن مجموعة كلها تخميس للبردة لشعراء كثيرين تجدها مخطوطة بدار الكتب المصرية .

هذا وقد رايت فى فهرس دار الكتب صفحة ١٢٠ من الجزء الثالث) ما يأتى : ( ديوان الباعونى ) وهو قاضى القضاة شهاب الدين ابو العباس احمد الباعونى الشافعى الدمشقى مكتوب على اوائل بعض قصائده ورسائله ما يفيد انه كان موجودا سنة ٨٦٧ هـ وقد ندبه السلطان الملك الظاهر جقمق لتوليته قضاء الشافعية بالشام المحروسة فلم يلتفت لذلك ورعا منه ) جمعه ولده برهان الدين أبو إسحق إبرهيم وهو يشتمل على فنون كثيرة من ابواب الأدب فى التضمين والمدح والغزل والنسيب وشكوى الحال والرثاء ومخاطبة الملوك والأمراء والقضاة والعلماء وفى الرسائل بداه بتضمين ( بانت سعاد) لكعب بن زهير بن ابى سلمى المزنى وسماه ( ذخر المعاد فى تضمين بانت سعاد) ثم تضمين ( ملحة الاعراب ) فى النحو لأبى محمد القاسم بن على الحريرى المصرى وسماه ( نزهة الأحباب فى تضمين ملحة الاعراب ) ثم تضمين الألفية لابن مالك سماه ( المنحة فى تضمين الألفية والملحة ) وغير ذلك ، ويغلب على الظن انه بخط جامعه كما يفهم من نبذة على ظهر الورقة الأولى منه ) اهـ .

والذى اراه ان هذا الديوان إنما هو ديوان ابنه جامعه وكاتبه وهو برهان الدين إبرهيم بن احمد الباعونى نفسه لا ديوان ابيه ، فالبرهان الباعونى

هو الذى كان موجودا سنة ٨٦٧ ( اما والده فقد تقدم انه ولد ٧٥٢ وتوفى سنة ٨١٦ ) والبرهان هو الذى عاصر الملك الظاهر جقمق ( ٨٤٢ — ٨٥٧ ) وهو الذى ندب لتولية القضاء فأبى ، ولكن كان ذلك سنة ٨٢٣ فى مدة الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودى الذى ولى الأمر بعد الناصر فرج بن برقوق ( ٨١٥ — ٨٢٤ ) والملك المؤيد هذا هو المدفون بقبته التى انشأها بالجامع المؤيدى بباب زويله ) وكانت سن البرهان الباعونى عند اول تولية الملك الظاهر ابى سعيد جقمق نحو ٦٥ سنة وقد ادرك عصر من بعد جقمق كما سيأتى ) . وكان البرهان فى سنة ٨٢٢ ( بعد وفاة ابيه بسبع سنوات ) خطيبا بجامع بنى امية بدمشق . قال شمس الدين السخاوى فى ترجمته : وجهز اليه التوقيع بالقضاء حين استقرار الكمال بن البارزى (١) فى كتابة الديار المصرية سنة ٨٢٣ فامتنع وصمم وراجعه النائب وغيره من اعيان الامراء والرؤساء وغيرهم فما اذعن وتكرر خطبه لذلك مرة بعد اخرى وهو يأبى إلى ان قيل له فعين لنا من يصلح فعين اخاه ) اه

٤ — البرهان الباعونى : ( وهو الذى قرظ كتاب البدرى ) هو برهان الدين إبرهيم بن شهاب الدين احمد بن ناصر بن خليفة الباعونى الناصرى . ولد فى شهر رمضان سنة ٧٧٧ بمدينة صفد ونشأ بها ثم انتقل منها مراهقا

(١) الكمال بن البارزى هو محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبرهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان ، ينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل ( عبد الله بن أنيس الأنصارى ) ولد سنة ٧٩٦ بمدينة حماة ونشأ بها فى كنف أبيه ثم انتقلا الى القاهرة سنة ٨١٥ مع الملك المؤيد ، وولى كتابة السر بالقاهرة ، ولم يزل يتردد فى الأعمال العظيمة بمصر والشام حتى توفى سنة ٨٥٦ وكان رئيسا كريما حسن السياسة جميل الخلق والخلق لطيف الشمائل أديبا كاتبا بارعا قديرا فى الإنشاء والترسل .

مع ابيه إلى الشام ، وتلقى العلم عن والده وغيره من علماء صفد ودمشق وسواهما ودخل مصر سنة ٨٠٤ فتردد بها إلى غير واحد من فضلائها وائمة العلم والأدب فيها ثم عاد إلى بلده فأقام بها على احسن حال واجل طريقة وصار شيخ الأدب بالبلاد الشامية بدون منازع، وولى خطابة الجامع الأموى بدمشق والخطابة بيت المقدس وقلد غير ذلك من الوظائف الدينية والعلمية وابى وجهه ان يلى القضاء بعد ان الحّ عليه اولو الأمر فى ذلك، وحمدت سيرته فى كل ما وليه من الاعمال إذ كان يؤثر الحق ويصمم عليه ولا تاخذه فيه لومة لائم ، ولا يقيم وزنا لما كان يصل إليه من رسائل الكبراء فى الشفاعات ونحوهما ، واثنى فضلاء زمانه على فضائله وجميل خصاله ، وكان بارعا فى النظم والنثر وله اليد الطولى فيهما

قال السخاوى : وقد لقيته بدمشق وسمعت من نظمه ونثره مالا احصيه وكان يحكى ان الزين عبد الباسط [1] قال له إن مراسلاتك المسجعة إلينا تبلغ أربع مجلدات فكيف بغيرها ) وكان جميل الهيئة منور الشيبة طولا مهيبا ذا فصاحة وطلاقة وحشمة ورياسة ومكارم وتواضع وتودد وعدم تدنس بما يحط من مقداره وقد ترجمه بعض المتأخرين بالشيخ الامام العلامة خطيب

(١) هو زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبرهيم الدمشقى ثم القاهرى ، ولد بدمشق سنة ٧٨٤ ، وولى الأعمال الجليلة بمصر ، وكان فيها من عظماء الدولة وأولى المكانة والجاه والثراء الطائل وكان فى عصره فردا فى رؤساء مصر والشام وملجأ الناس ، كثير الإحسان عظيم البر حتى سار ذكره وانتشر فضله وخيره ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، وهو الذى أنشأ ( القيسارية ) المعروفة بالباسطية داخل باب زويلة ، وتوفى فى شوال سنة ٨٥٤ قبل وفاة البرهان الباعونى بستة عشر عاما، وإذا كانت رسائله المسجعة اليه قبل وفاته أربع مجلدات ، فكيف بما أنشأه بعد ذلك فى ١٦ سنة فى أغراض مختلفة

الخطباء شيخ الشيوخ ولسان العرب وترجمان الأدب وبرهان النظر فريد العصر وإنسان عين الدهر ... الخ ) اهـ — وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٠ بدمشق وجاء الخبر بذلك إلى الديار المصرية فصلى عليه صلاة الغائب بالجامع الأزهر رحمه الله تعالى .

ومن شعر البرهان الباعونى فى التضمين (١) :

أشكو إلى البارى أناسا قد غدت ملأى بأنواع المخازى دورهم
تغلى على صدورهم غيظا كما تغلى على الجمر الكثيف قدورهم
هم يعلنون لدى اللقاء مودتى ( والله يعلم ماتكن صدورهم )

ومنه — قالوا الحميا شراب للأنس والبسط جاءت
فقلت ردا عليهم ( بئس الشراب وساءت )

---

(١) يراد بالتضمين هنا مايسميه البديعيون ( الاقتباس ) وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث الشريف لاعلى أنه منه ، ومنه ماأمليته على طلبة المدرسة السعيدية يوم أن زارها المغفور له جلالة الملك ( أحمد فؤاد ) رحمه الله سنة ١٩١٥ وكان الدرس يومئذ فى فن البديع فى الاقتباس :

حللت القلوب مقيما بها فكانت بحبك حرزا حريزا
فلا زلت ترعاك عين العلا ( وينصرك الله نصرا عزيزا )

ولا بأس فى الاقتباس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس مراعاة للوزن كما قلت لما ظهر المذنب فى نحو سنة ٩٠٨ وأرجف الناس بأن ظهوره علم للساعة :

وقالوا بدا من جانب الأفق كوكب دها الأرض منه منذ أشرق مادها
سيتركها قاعا ويزهق أهلها ويصدق فيها مالك الملك وعدها
وكم مر فى هذا الفضاء كواكب لها ذنب لاتستطيعون عدها
هى الساعة اختص الإله بعلمها ستأتى ولو شاء الإله لمدها
ولكنها تأتى البرية ( بغتة فتبهتهم لايستطيعون ردها )

ومن شعره :

أشد الناس فى الدنيا عناء ... كريم مجده مجد أثيل
يحب مكارم الأخلاق مثلى ... وليس له إلى الدنيا سبيل

ومنه :

إذا استغنى بنو الدنيا بمال ... لهم جم فكن بالله أغنى
وإن مالوا إلى الإكثار فاقنع ... فإن القنع كنز ليس يفنى

ومنه :

سل الله ربك ماعنده ... ولا تسأل الناس ماعندهم
ولا تطلبن من سواه الغنى ... وكن عبده لا تكن عبدهم

وقال :

سئمت من الدنيا وصحبة أهلها ... وأصبحت مرتاحا إلى نقلتى منها
ووالله ما آسى عليها وإننى ... وان رغبت فى صحبتى راغب عنها
فما زالت الأكدار محفوفة بها ... وما زال عنها دائما ذو النهى ينهى

وقال ابن قاضى شهبة فى طبقات الشافعية : أضافنا البرهان الباعونى بمنزله فى الصالحية صحبة النجم ابن حجى (١) وقرأ علينا تضمينه ألفية ابن مالك

(١) هو أبو الفتوح نجم الدين عمر بن حجى بن موسى بن أحمد بن سعد الدمشقى ولد بدمشق سنة ٧٦٧ وطلب العلم بمدن مصر والشام وولى وظائف القضاء والإفتاء وغيرهما ، وكان رئيسا جليلا ذا حرمة ومهابة صارما مقداما ذكيا حاد الذهن فصيحا حسن التصرف مدرسا ماهرا كما كان حاد الخلق سريع البادرة ، قتل وهو نائم على فراشه فى بستانه بدمشق سنة ٨٣٠ - وقد أصهر ابنه محمد المتوفى سنة ٨٥٠ الى الكمال ابن البارزى المتقدم وله من ابنة الكمال والده يحيى بن محمد بن عمر بن حجى توفى سنة ٨٨٨ بالقاهرة ودفن عند أبيه وجده لأمه بالقرب من ضريح الإمام الشافعي .

قصيدة امتدح بها النجم بن حجى كما فعل ابن نباتة بالملحة فى مدح السبكى فأجاد كل الإجادة على أن بين الالفية والملحة البون الكثير فتضمين الالفية أشد ولكنه ممن ألين له الكلام ) اه وقد تقدم أنه ضمن الملحة أيضا

وقال البدرى صاحب ( سحر العيون ) فى كتابه ( نزهة الانام فى محاسن الشام ) : وأنشدنى شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين الباعونى الشافعى فى ( الآس ) الذى هو من محاسن الشام :

وروضة بانها يهتز من طرب شبيه مرتشف من ثغرة الكاس

يثنى النسيم على الآس النضير بها فهو العليل الذى يثنى على (الآسى)

وهنا خطر فى نفسى أن من أسباب غض السخاوى من قدر البدرى ولاءه للقاضى عبد البر بن الشحنة ( عرفت به فى الرسالة الغراء ) وانتماءه اليه وأنه كثيرا ما يعتد به ويذيع أدبه فى كتبه ، قال فى ( سحر العيون ) أنشدنى لنفسه الكريمة المقر السرى عبد البر نجل شيخ الإسلام محب الدين ابن الشحنة الحلبى المولود سنة ٨٥١

لما رنا بلحظه خلفنى حلف الضنى

وحاجباه اتفقا لقتلى واقترنا

وقال فى موضع آخر : أنشدنى المقر السرى ( عبد الرحمن ) نجل شيخ الإسلام :

حبيب قلبى قد سما بحسنه بدر السما

عيناه أرواح الورى قد نهبا واقتسما

وأنا أرى أنه يريد ( عبد البر ) وما فى الكتاب تحريف فقد توفى ( عبد الرحمن ) أخو شيخ الإسلام لا نجله سنة ٨٣٠ قبل مولد البدرى ، ومن شعر عبد الرحمن هذا :

لا تلوموا الغمام إن صب دمعا وتوالت لأجله الأنواء

فالليالى أكثرن فينا الرزايا فبكت رحمة علينا السماء

هذا وقد جمع البرهان الباعونى لنفسه ديوان خطب من إنشائه وديوان شعر من نظمه ( وقد عرفت أن ديوان الباعونى المحفوظ بدار الكتب إنما هو ديوان البرهان الباعونى لا ديوان أبيه ) وقال فى كشف الظنون ( عقود الأبكار من بنات الافكار ) للقاضى برهان الدين إبرهيم بن أحمد الباعونى المتوفى سنة ٨٧٠ وهو ديوان أشعاره . وقال السخاوى فى ترجمته : وأنشأ البرهان الباعونى رسالة عاطلة من النقط من عجائب الوضع فى السلاسة والانسجام وعدم الحشو والتكلف واختصر الصحاح للجوهرى اختصارا حسنا وله كتاب ( الغيث الهاتن فى وصف العذار الفاتن ) أتى فيه بمقاطيع رائقة ومعان فائقة واشتمل على نحو مائة وخمسين مقطوعة أودع كلا منها معنى غريبا غير الآخر مع كثرة ماقال الناس فى ذلك مما هو دال على سعة نظره وحسن فكره ) اهـ.

٦ ) أخوه شمس الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن ناصر . ولد بدمشق حوالى سنه ٧٨٠ ونشأ بها . وأخذ عن أبيه وغيره من فضلاء الشام ، وكان إماما عالما أديبا فاضلا ، وولى الخطابة بجامع دمشق وغيره وشغف بالادب وأولع بنظم الشعر وأتى فيه بالكثير الحسن ، ولقبه شمس الدين السخاوى بدمشق وكتب عنه شيئا من شعره ، قال السخاوى : ومما أنشدنيه فى رثاء ولده مضمنا :

أحمد إن كان قد عز اللقا ومضت مسرات الحياة بأسرها
فلأبكينك ماحييت وان أمت فلتبكينك أعظمى فى قبرها

وبعد وفاة ابنه عدل عن وظائفه وأعماله وجمع نفسه على العبادة والتأليف والإفادة حتى أجاب نداء ربه فى شهر رمضان من سنة ٨٧١ هـ . وله نظم السيرة النبوية المسمى ( منحة اللبيب فى سيرة الحبيب ) يزيد على ألف بيت وأوله :

يقول راجى ذى الجلال الصمد عبيده محمـــد بن احمد

الحمـــد لله إله الخـــلق باعث خير رسله بالحق

ومنه بدار الكتب الملكية نسخة بخط أحمد بن خليل اللبودى فرغ من كتابتها فى ١٩ من المحرم سنة ٨٦٣ وعليها خط المؤلف . وله أرجوزة أخرى فى التاريخ سماها ( تحفة الظرفاء فى تاريخ الملوك والخلفاء ) وفى كشف الظنون ( فرائد السلوك فى تاريخ الخلفاء والملوك ) منظومة لأبى الفضل محمد بن أحمد الباعونى المتوفى سنة ٨٧١ من أول الخليقة إلى الأشرف قايتباى ) وسماها السخاوى ( تحفة الظرفاء فى تاريخ الملوك والخلفاء ) ثم ذيلها ابن أخيه محمد بن يوسف إلى زمن الأشرف قايتباى وسماها ( الاشارة الوفية الى الخصائص الأشرفية ) . وفيه أيضا ( تحفة الظرفاء فى تاريخ الملوك والخلفاء ) أرجوزة لمحمد بن أحمد الباعونى أولها : يقول راجى ربه محمد ... كتبها إلى زمان المستعين بالله .

( وفى الضوء اللامع ) فى ترجمة محمد بن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى وهو ابن أخى أبى الفضل المذكور ما يأتى : ورأيت له أرجوزة ذيل بها على أرجوزة عمه فى التاريخ التى انتهى فيها إلى ( الأشرف برسباى ) وصل فيها إلى سلطان وقتنا وأطال فى متجدداته ومآثره بحيث كانت أشبه شىء بترجمته ) هـ وهذا هو الصواب فما فى كشف الظنون من أنه ( الأشرف قايتباى تصحيف فقد كانت مدة الأشرف قايتباى من ٨٧٢ — ٩٠١ هـ ) أى بعد وفاة الناظم أما الملك الأشرف برسباى بن عبد الله سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية وهو الثامن من ملوك الجراكسة فقد ولى الأمر من ( سنة ٨٢٥ — سنة ٨٤١ ) أى قبل وفاة الناظم بثلاثين سنة فلعل الناظم وقف فى النظم عند ذلك الحد لشواغل من الحزن أو نحوه ، وقد يقوى هذا قول صاحب كشف الظنون فى موضع آخر ( إلى زمان المستعين بالله ) فقد كانت

خلافة المستعين بالله العباسى بمصر من ( ٨٠٨ ٨٣٣ ) وجاء بعد (برسباى) أبو سعيد الملك الظاهر جقمق بن عبد الله وتوفى سنة ٨٥٧ فولى الأمر بعده ( الملك الأشرف إينال العلائى المتوفى سنة ٨٦٥ ) وربما كانت سيرة الناظم تنتهى إلى الملك الأشرف هذا أى قبل وفاة الناظم بنحو ست سنوات فأنى أظن أن الالتباس جاء من ان كلا من السلطان ( قايتباى ، برسباى ، إينال ) يلقب الملك الأشرف وللناظم كتاب ( ينابيع الأحزان ) صنفه بعد موت ولده رحمهما الله تعالى .

(٧) أخوه قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى المقدسى ثم الصالحى الدمشقى الشافعى ، ولد فى جمادى الأولى سنة ٨٠٥ ببيت المقدس ؛ ثم انتقل به أبوه وهو طفل فى الرابعة إلى دمشق فنشأ بها ودرس على أساتذتها وتلقى العلم والأدب بغيرها من مدن الشام ثم رحل إلى القاهرة كعبة العلم ومنتدى الادب والفضل سنة ٨٢٨ وأقبل فيها على الدرس وجد فى تحصيل العلوم حتى ظهر فضله فقلد قضاء مدينة ( صفد ) وكتابة السر بها ثم ولى القضاء بطرابلس وحلب ثم بدمشق سنة ٨٤٧ وألقى الدروس المفيدة بعدة مدارس ، وحمدت سيرته فى كل ما عهد اليه فى القيام به فقد كان معروفا بالفقه والأدب وحسن الإدارة والسياسة مع وجاهته وعزة نفسه وحدة ذكائه وكامل مروءته وجميل بزته مشهورا بالصلاح والتقوى ومراقبة مولاه فى السر والعلن ، وحج غير مرة وله النثر البديع والشعر الفائق وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٨٠ وخلف ذرية طيبة ذكورا وإناثا ، ومن شعره :

إن غلقت أبواب رزق الفتى وعاد صفر الكف والجيب
يضرع إلى مولاه فى فتحها ( فعنده مفاتح الغيب )

واقترح بهاء الدين محمد بن عمر بن حجى السالف ذكره والمتوفى سنة

٨٠٠ بالقاهرة ) على جمال الدين يوسف الباعونى وعلى شهاب الدين أحمد بن إبرهيم بن محمد بن محمد بن عمر النابلسى ثم الدمشقى نزيل القاهرة ( المولود فى شهر رجب سنة ٨١١ بنابلس ) تضمين قول الشاعر :

فوالله ما أدرى أأنت كما أرى أم العين مزهو اليها حبيبها ؟

فقال الجمال الباعونى :

أراك حبيب القلب تزهو لناظرى وإن مرضت نفسى فأنت طبيبها

وقال الشهاب النابلسى :

أراك إذا ما مت يوما على الربا تخرلك الورقا ويبدو وجيبها

وعندى أن بيت الباعونى أنسب لفظا ومعنى بالبيت المضمن وأشد ارتباطا به فكأنه تمهيد له يسهل الانتقال منه إليه . هذا وفى دار الكتب مجموعة تشتمل على جملة تخاميس للبردة منها تخميس أوله :

يامن غدا فاقدا للصبر بالألم ومن بدا وجده للناس كالعلم ...

ينسب إلى جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الرحمن الباعونى ، وأراه غير جمال الدين يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى المذكور .

( ٨ ) ابنه بهاء الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى الأصل الدمشقى ( وهو الذى ذيل أرجوزة عمه السابق ) ولد بصالحية دمشق حوالى سنة ٥٨٨ وأخذ عن والده وعمه البرهان وغيرهما من أعيان العصر ، وغلب عليه الأدب وجمع عدة دواوين ، وتوفى فى شهر رمضان سنه ٩١٠ — وفى كشف الظنون : كتاب الحظ الموفور فى مدح ابن الفرفور ) لمحمد بن الباعونى ) اه وأنا أظنه هذا لأن ممدوحه وهو قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمود بن عبد الله بن محمود الشهير بابن الفرفور الدمشقى ولد فى شهر شوال سنة ٨٥٢ وتوفى سنة ٩١١ ) فهو المعاصر لبهاء الدين الباعونى هذا وأسن منه وكان ابن الفرفور قاضى قضاة الشافعية بدمشق ثم جمع له بينه

وبين قضاء مصر سنة ٩١٠ وكان جامعا بين العلم والسياسة والكرم وجوابا ممدحا ، وممن مدحه علاء الدين على بن مليك الحموى الأديب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٩١٧ وابنه ولى الدين قاضى القضاة محمد بن أحمد كان من أعيان بنى الفرفور ولد سنة ٨٩٥ وولى قضاء الشافعية بدمشق بعد وفاة أبيه ، ثم ولى قضاء حلب سنة ٩٢٦ وكان آخر قاض تولى قضاء حلب من بنى العرب ، ولم يطلب له العمل فى الدولة العلية العثمانية وبقى بين ولاية وعزل حتى توفى سنة ٩٣٧ - وابنه القاضى زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد كان اماما فاضلا شاعراً بارعا وتوفى سنة ٩٩٢ )

٩ - وأخته السيدة أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعونية الأديبة المشهورة والشيخة الصالحة البرة التقية ذات العلم والعمل ، كانت من نوادر عصرها علما وفضلا وأدبا وتقوى وديناوورعا وعفة وصيانة تلقت العلم ببلدها وبمصر حتى نالت من العلوم والآداب حظاً وافراً وأجاز لها أكابر وقتها بالتدريس والافتاء ، وقد صنفت عدة مؤلفات أدبية وصوفية رائقة ، ومن كلامها : وكان مما أنعم الله به على أننى بحمده لم أزل أتقلب فى اطوار الإيجاد ، فى رفاهية لطائف البر الجواد ، إلى أن خرجت إلى هذا العالم المشحون . بمظاهر تجلياته ، الطافح بعجائب قدرته وبدائع ارادته ، المشوبة موارده بالأقذار والأكدار ، الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار ، دار ممر لا بقاء لها إلى دار القرار ، فربانى اللطف الربانى فى مشهد النعمة والسلامة ؛ وغذانى بلبان مداد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة فى بلوغ درجة التمييز ، أهلنى الحق لقراءة كتابه العزيز ، ومنّ على بحفظه على التمام ، ولى من العمر حينئذ ثمانية أعوام ، ثم لم أزل فى كنف ملاطفات اللطيف ، حتى بلغت درجة التكليف . . . الخ ) اه

وتوفيت بدمشق سنة ١٩٢٢ مع انقضاء دولة الجراكسة — وقد ترجم لها فى صدر كتاب ( خزانة الأدب وغاية الأرب ) لأبى بكر بن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ ترجمة موجزة ونسب اليها خطأ البيتين الآتيين قال ( ولها بيتان فى جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق هدما كثيرا مما شيده فحول الشعراء من البيوت واذا تأملت فى سحر بلاغتهما فكأنما رأيت هاروت وماروت ) وهما

بنى سلطاننا برقوق جسرا . بأمر والأنام له مطيعة
مجازى الحقيقة للبرايا وأمر بالوقوف على الشريعة

وأقول ليس البيتان لها ولم يكن برقوق سلطانها بل مات قبل ولادتها بأكثر من قرن بل توفى قبل مولد أبيها فقد ولد وتوفى سنة ٨٨٠، وكانت سلطنة الملك الظاهر برقوق من ( سنة ٧٨٤ — سنة ٨٠١ وكان بناء جسر الشريعة سنة ٧٨٤ ونهر الشريعة بالقرب من بيت المقدس والمعروف أن البيتين لشاعر فحل هو شمس الدين محمد بن المزين الدمشقى الأديب الشاعر المشهور ( محمد بن بركة ولد سنة ٧٣٥ وتوفى سنة ٨١١ وموعدنا بترجمته وترجمة غيره من أدباء عصر المماليك قريب ان شاء الله )

ومن شعر السيدة عائشة الباعونية فى وصف دمشق

نزه الطرف فى دمشق ففيها كل ما تشتهى وما تختار
هى فى الارض جنة فتأمل كيف تجرى من تحتها الانهار
كم سما فى ربوعها كل قصر أشرقت من وجوها الأقمار
وتناغيك بينها صادحات خرست عند نطقها الأوتار
كلها روضة وماء زلال وقصور مشيدة وديار

ومن بارع التشبيه قولها :

كأنما الخال تحت القرط فى عنق بدالنا من محيا من جل خلقا

نجم بدا لعمود الصبح مستترا  تحت الثريا قريب الصبح فاحترقا

ومما أحفظه ويروقني واحبه لها :

وصيرت بدر التم مذغاب مؤنسي  أنيسي وقلت البدر منه قريب

فحجبه عني الغمام بذيله  فواعجبا حتى الغمام رقيب

ولها ديوان شعر بدار الكتب الملكية — ومن مؤلفاتها ( مولد النبي صلى الله عليه وسلم ) أوله : الحمد لله القديم أحده المتعالي حمده لاشريك له في عظمة الاهيته .. الخ ) وقد طبع بدمشق سنة ١٣٠١ وبدار الكتب الملكية سختان منه ( ٩٨٢ ، ٩٨٣ ولها الدر الغائص في بحر المعجزات والخصائص ) وهي قصيدة رائية في المديح النبوي — وكتاب ( الفتح الخفي ) يشمل على كلمات لدنية ومعارف سنية ، و ( الملامح الشريفة والآثار المنيفة ) يشتمل على أناشيد صوفية ومعارف ذوقية ، وكتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية ) وهي أرجوزة اختصرت فيها ( منازل السائرين ) لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن اسمعيل الانصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفى سنة ٨٤١ وهو كتاب تصوف في أحوال السلوك ) — ولها أرجوزة لخصت فيها كتاب ( القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ) لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ — ومن أشهر مؤلفاتها ( الفتح المبين في مدح الامين ) قصيدة بديعيه في مديحه صلى الله عليه وسلم أولها :

في حسن مطلع أقمار بذي سلم  أضبحت في زمرة العشاق كالعلم

وقد شرحتها شرحا لطيفا طبع بها مش ( خزانة الأدب ) لابن حجة الحموي ولها شرح على بديعية أخرى أولها :

عن مبتدأ خبر الجرعاء من أضم  حدث ولا تنس ذكر البان والعلم

والتزمت في هذا الشرح عند ذكر كل محسن من المحسنات البديعية أن

تذكر ما قاله فى بديعياتهم كل من [1] ابن جابر الأندلسى ( شمس الدين محمد بن أحمد بن على بن جابر توفى سنة ٧٨٠ ) وقد شرح هذه البديعية رفيق ابن جابر وهو شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى الأندلسى المتوفى سنة ٧٧٩ ) ( ب ) وصفى الدين الحلى المشهور ، ( ح ) وابن حجة الحموى وهو الذى شرحها شرحا مفيدا حافلا بكتابه ( خزانة الأدب ( ى )عزالدين الموصلى ( على بن الحسين ن على بن أبى بكر العلامة الأديب الشاعر الرقيق توفى سنة ٧٨٩ )

وقد انتهت من شرحها هذا سنة ٩٢١ وبدار الكتب نسخة منه مخطوطة رقم ٥٨٣ وبآخرها ما نصه : تمت المنظومة الشريفة المباركة ، وكان الفراغ من كتابتها مع ما أضيف اليها من الكلام على ما اشتملت عليه من الانواع فى النصف من شهر ربيع الآخر سنة ٩٢١ أحسن الله تمامها بمنه وكرمه على يد المفتوح عليها بنظمها وتأليف هذا الشرح الوافى بمضمون أنواعها أفقر الفقراء الى رحمة الله المولى عائشة بنت يوسف بن ناصر الباعونى الشافعى )

١٠ - وابنها السيد تاج الدين عبد الوهاب بن أحمد كان عالما فاضلا فقيها صالحا توفى بصالحية دمشق سنة ٩٢٥ عن نحو ثلاثين سنة رحمه الله.

احمد يوسف نجاتى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

---

( ١ ) وقد شرح الموصلى بديعيته شرحا سماه ( التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع ) فرغ من تأليفه فى منتصف جمادى الاولى سنة ٧٨٧ ومنه نسخة بدار الكتب ضمن مجموعة مخطوطة بخط العلامة الاديب محمد الدمشقى الاصل المعروف بالبدر البشتكى الشاعر الأديب المعروف أتم كتابته فى منتصف شهر المحرم من سنة ٧٩٣ وعليها خط شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن على بن محمد المعروف بابن حجر العسقلانى العلامة الأديب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٨٥٢ وتوفى بدر الدين البشتكى سنة ٨٣٠